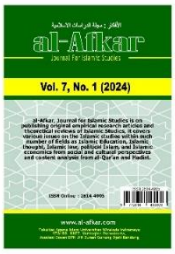

AL-AFKAR: Journal for Islamic Studies
Journal website: https://al-afkar.com

P-ISSN : 2614-4883; E-ISSN : 2614-4905 Vol. 7 No. 1 (2024).
https://doi.org/10.31943/afkarjournal.v7i1.914 pp. 501-520

Research Article

مقاصد الشريعة الإسلامية ومنشأ الإنسانية الجديدة في العصر الحديث: الدراسة الفكرية المقاصدية عند عبد الله بن بيه

Muslihun

Institut Pesantren KH. Abdul Chalim, Mojokerto; muslihunmaksum1990@gmail.com

Copyright © 2024 by Authors, Published by AL-AFKAR: Journal For Islamic Studies. This is an open access article under the CC BY License (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0).

Received : October 12, 2023 Revised : November 26, 2023
Accepted : December 17, 2023 Available online : January 12, 2024

How to Cite: Muslihun (2024) " مقاصد الشريعة الإسلامية ومنشأ الإنسانية الجديدة في العصر الحديث: الدراسة الفكرية المقاصدية عند عبد الله بن بيه", *al-Afkar, Journal For Islamic Studies*, 7(1), pp. 501–520. doi: 10.31943/afkarjournal.v7i1.914.

الملخص:

يتمحور هذا البحث حول مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقته بمنشأ الإنسانية الجديدة في عصرنا اليوم. كما هو معروف، ترتكز مقاصد الشريعة إلى جلب المصالح ودرء المفاسد للإنسان عاجلا أو آجلا. وكذلك تهتم مقاصد الشريعة الإسلامية بمصلحة العباد الدنيوية والأخروية معا لأن صلاح دنياهم تؤثر إلى أخراهم جزاء بما كانوا يعملون. فإن مفهوم المصالح الإنسانية من ضوء الشريعة الإسلامية قول لا يختلف فيه أحد من كبار العلماء المقاصدي لأن الغاية القصوى من الشريعة هي تكوين الإنسان من حالة الصلاح إلى حالة الأصلح، وهذه الحالة التجديدية أمر طبيعي في ذات الإنسان، ولكن في الوقت نفسه فإن تجدد الإنسان لا يتجه إلى الصلاح فحسب بل للعكس يضمن تغير الإنسان بالهلاك والفساد لعدم العلاقة الإنسانية بعضهم بعضا حيث يتحاربون ويتقاتلون لإكتفاء أهوائهم وأنانيتهم سواء كانت هذه الحالة تحت راية الدين أو باسم عرق الشعوب. وهذا الواقع العياني في الأونة الأخيرة التي

تجري بسفك الدماء في بعض البلدان يلزم بنائها على تجديد مفاهيم الإنسانية الجديدة من ضوء الشريعة الإسلامية لاسترجاع الإنسان إلى حقيقته الذي أمره الله باستخلاف الأرض وعمارتها. من هنا، استخدم الباحث تحليل الخطاب الديني (*Discourse Analysis in Religious Studies*) لتوضيح مقاصد الشريعة الإسلامية لدى عبد الله بن بيه ومساهمته في تعزيز السلام للبشر في أنحاء العالم. من خلال البحث العلمي، وجد الباحث الفكرة المقاصدية عند عبد الله بن بيه بأن المعاملة الإنسانية التي بنيت على أساس التراحم من ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية أمر محتم لحل المشكلة الإنسانية. من أجل ذلك، لابد أن تقوم الحضارة الإنسانية على السلام والأمن في شتى االدول المتجاورة في الكرة الأرضية عامة وبلاد أندونيسيا على سبيل الخصوص كي لا يكون المجتمع العالمي بأسا بينهم.

الكلمات المفتاحية: المقاصد، الشريعة الإسلامية، الإنسانية.

Abstrak. Penelitian ini membahas tentang maqasid al-syariah al-islamiah dan keterkaitannya dengan dasar konseptual nilai-nilai kemanusiaan yang baru di era ini. Sebagaimana kita ketahui bahwa pembahasan maqasid al-syariah berpusat pada kajian membawa pada kebaikan (jalbi al-masholih) dan menolak kerusakan (dar' al-mafasid) untuk manusia saat ini dan masa depan. Begitu juga perhatian maqasid al-syariah pada kemaslahatan seorang hamba dalam urusan dunia maupun akhirat secara bersamaan karena kebaikan di dunia berpengaruh pada urusan akhirat sebagai bentuk balasan apa yang telah diperbuat di bumi. Dengan demikian, pemahaman kemaslahatan manusia disarikan dari syariah Islam yang tidak dapat diperdebatkan kembali oleh kalangan ulama karena puncak tujuan dari syariah itu sendiri membentuk manusia dari keadaan baik menuju lebih baik. Pembaharuan ini sebuah bentuk keniscayaan dalam diri manusia, akan tetapi diwaktu yang bersamaan memperbarui kemanusiaan tidak hanya mengarah pada kondisi yang baik saja melainkan sebaliknya perubahan manusia mengarah pada keburukan dan kerusakan karena perubahannya tidak selaras dengan nilai-nilai kemanusiaan yang dibangun sehingga terjadi peperangan antara satu dengan yang lainnya untuk memenuhi egoisme pribadi baik atas nama agama maupun atas nama kelompok. Realitas yang terjadi belakangan ini dengan praktek pertumpahan darah dibeberapa negara bagian di dunia perlu adanya perbaruan nilai-nilai kemanusiaan melalui sari pati syariah Islam untuk mengembalikan manusia pada jati dirinya yang telah diperintah Allah sebagai khalifah untuk membangun kondisi bumi. Dari realitas tersebut, maka penulis menggunakan metode kualitatif sebagai cara untuk menggali diskursus pemikiran dalam maqasid al-syariah, disamping itu penulis memakai teori diskursus analisis dalam agama (discourse analysis in religious studies) untuk menjelaskan maqasid al-syariah Islamiyah dalam pandangan Abdullah bin Bayyah dan sumbangsihnya dalam menguatkan dan menjunjung tingga perdamaian, bahwa interaksi kemanusiaan dibangun di atas dasar saling mengasihi dan menyayangi melalui nilai syariah Islam suatu bentuk keniscayaan untuk mencari solusi problematika kemanusiaan. Oleh sebab itu, perlu membangun peradaban manusia melalui perdamaian dan keamanan di seluruh negara di dunia khususnya yang berdampingan, tak terlepas juga negara Indonesia yang juga menjadi bagian di dunia ini.

Kata kunci: Maqasid, al-syariah al-Islamiyah, kemanusiaan

المقدمة

بداية، يجدر بالباحث القول بأن مقاصد الشريعة الإسلامية قد مرت بمراحل عدة من جيل إلى جيل، لو أردنا تحديد بداية نشأة النبذة من هذا العلم فإنه يمكن أن نعود إلى زمن النبي المبعوث للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم من التابعين. حيث حاول الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وأئمة المذاهب الأربعة تطبيق الأحكام الشرعية بطريقة مقاصد الشريعة الإسلامية

على معيار مصالح الإنسان ودفع المضار له.ومع ذلك، كان أئمة المذاهب الأربعة متفاوتين في النظر والمنهج إلى معقولية المعنى داخل الخطاب الشرعي لأجل تطبيق مقاصد الشريعة، فالشافعية مثلا أقربها إلى ظاهرية النصوص في استنباط الأحكام من المدارس المالكية والحنبلية والحنفية في استدلال الأحكام لأنهم يميلون إلى نظرية المقاصد، واستدلوا بالمصالح المرسلة وسد الذرائع والاستحسان.فحينما يقول المالكية بالمصالح المرسلة وبثلاثة أنواع من الاستحسان، ويبالغ الأحناف في الأخذ بالاستحسان ليستغنوا به عن الاستصلاح، ويأخذ الحنابلة من المالكية بسد الذرائع وبطرف من الاستحسان، ويتردد النقل عنهم في الأخذ بالمصالح المرسلة فإنهم بذلك يكونون مقاصديين بوجه ما.[1] ولا شأن في أن اختلاف مقارباتهم للشريعة الإسلامية إنما يدور حول تنزيل الأحكام في أرض الواقع مع اهتمامهم بتحقيق المناط فيها نظرا إلى معقولية النصوص المتناهية والحوادث التي لا تتناهي في الخطاب الإنساني.نظرا إلى كون طريقة استنباط الأحكام الشرعية من الاستحسان، والمصلحة المرسلة، والاستصحاب، وسد الذرائع أصول عقلية للشريعة فإنها أصبحت كلها أساسا لمقاصد الشريعة الإسلامية على معيار دفع المفاسد وجلب المصالح في أفعال العباد.

تطورت مقاصد الشريعة الإسلامية تاريخيا على يد الأصوليين، وقد وضع جاسر عودة تحقيب الأئمة المقاصد ومساهمتها في التاريخ، منهم:الإمام الجويني (الحاجة العامة)، الإمام الغزالي (ترتيب الضروريات)، عز الدين بن عبد السلام (الحكمة من وراء الأحكام)، الإمام القرافي (أنواع تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم)، الإمام ابن القيم (حقيقة الشريعة)، ثم الإمام الشاطبي الذي يجعل مقاصد الشريعة أصولا للشريعة.[2] وكان لكل هؤلاء العلماء عناية بتنظيم مقاصد الشريعة الإسلامية سواء كان في تعريفها، وبيان مصادرها، وحدودها واختلافها من هذا العلم. باعتبار أن الشريعة الإسلامية تراعي مصالح العباد عاجلا أو آجلا،وأصبحت لاحقا فلسفة للتشريع الإسلامي. إذن، يمكن اعتبار أن استثمار مقاصد الشريعة الإسلامية والاستنجاد بها يعد من ركائز المنهج الاجتهادي في عصرنا الحاضر لإصلاح الحضارة الإنسانية، لأن المقاصد روح دين الإسلام وتشريعه بل إنها قيم مخزونة في سائر الأديان.[3]

منهج البحث

اعتمد الباحث على هذا المنهج الوصفي لبيان فكرة طه عبد الرحمن وعبد الله بن بيه من خلال المصادر الأساسية والمصادر الثانوية. فالمصادر الأساسية من أعمال عبد الله بن بيه ذاته وهي:

[1]. عبد الله بن بيه، *مشاهد من المقاصد*، (الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع، 2012)، 41.

[2]. أنظر إلى الكتاب لجاسر عودة تحت العنوان: *مقاصد الشريعة دليل للمبتدئين*.

[3]. أبو إسحاق الشاطبي، *الموافقات*، المجلد الثاني، (المملكة العربية السعودية: دار إبن عفان، 1997)، 20.

حوار عن بعد حقوق الإنسان في الإسلام، (الرياض: مكتبة العبيكان، 2006)، الإرهاب: التشخيص والحلول (الرياض: الشركة للأبحاث والتطوير، 2007). وحصل الباحث المصادر الثانوية من مجموعات الرسائل العلمية التي تبحث فيها وتنتشر في المجلات الأكاديمية من الجامعات في الدراسات الفكرية.

عبد الله بن بيه: السيرة الذاتية والخلفية الفكرية

هو الشيخ العلامة عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه ولد في مدينة تمبدغة – شرق موريتانيا[4] في سنة 1935م. وهو من أحد أكبر العلماء السنة المعاصرين ورئيس منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة ومؤسسة الموطأ في أبو ظبي. وقد تم اختياره من قبل جامعة جورج تاون واحدا من أكثر 50 شخصية إسلامية تأثيرا في العالم للأعوام 2009-2016م.

أما مسيرته العلمية لم يجد الباحث عنها إلا قليلا من المعلومات سواء كانت من الكتب المطبوعة أو من خلال المجلات والبحوث العلمية، من أجل ذلك، استعان الباحث على شبكة الإنترنيت، وبالتحديد الموقع الرسمي لعبد الله بن بيه دون غيره. وقد وردت في السيرة الذاتية أن عبد الله بن بيه قد نشأ وتربي في بيت علم وورع حيث نهل من معين علم والده الغزير، ووالده هو القاضي الشهير العلامة الشيخ المحفوظ وأخذ علوم العربية عن العلامة محمد سالم ابن الشين، وعلوم القران عن العلامة الشيخ بيه بن السالك المسومي، ودرس جميع العلوم الشرعية الإسلامية في هذه المحظرة.[5]

سافر الشيخ بعد ذلك في بعثة إلى تونس لتكوين أول دفعة من القضاة وحصل على المركز الأول بين القضاة المبتعثين. و بعد عودته تنقل في عدة مناصب إذ عين رئيسا لمصلحة الشريعة في وزارة العدل ثم نائبا لرئيس محكمة الاستئناف ثم نائبا لرئيس المحكمة العليا ورئيسا لقسم الشريعة الإسلامية بهذه المحكمة. ثم عين مفوضا ساميا للشؤون الدينية برئاسة الجمهورية حيث أقترح إنشاء وزارة للشئون الإسلامية فكان أول وزير لهذه الوزارة، ثم وزيرا للتعليم الأساسي والشؤون الدينية، ثم وزيرا للعدل والتشريع وحافظاً للخواتم، ثم وزيراً للمصادر البشرية – برتبة نائب رئيس الوزراء- ثم وزيراً للتوجيه الوطني والمنظمات الحزبية والتي كانت تضم وزارات الإعلام والثقافة والشباب والرياضة والبريد والبرق والشؤون الإسلامية. ثم كرّس عبد الله بن بيه نفسه للنضال داخل صفوف حزب الشعب الموريتاني الحاكم الذي كان عضوا في مكتبه السياسي ولجنته الدائمة من سنة 1970- 1978 م .عني العلامة عبد الله بن بيه باستكمال تعريب الإدارة في مؤسسات الدولة الموريتانية كما اقترح

[4] . http://binbayyah.net/arabic/archives/1417

[5] . المصدر نفسه

مع الآخرين تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في موريتانيا بدلاً من القانون الفرنسي وصودق على هذا الاقتراح في مؤتمرات الحزب وهيئاته .وهو الآن أستاذ الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز في جدة.

إلى جانب ما ذكر آنفا تجدر الإشارة إلى جهود عبد الله بن بيه ومشاركاته في الأعمال والأنشطة العلمية في المؤسسات والمنظمات، منها مشاركاته في كثير من المؤتمرات من أهمها أول مؤتمر قمة للدول الإسلامية بالرباط وأول مؤتمر تأسيسي لمنظمة المؤتمر الإسلامي في جدة.كما حضر مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز في الجزائر ومؤتمر القمة العربي الأفريقي في القاهرة وفى الستينيات شارك في مؤتمر الحقوقيين الناطقين باللغة الفرنسية في لومي وأشرف على المؤتمر الأول الأفريقي لرابطة العالم الإسلامي في نواكشوط. شارك في ندوات فكرية وعلمية كثيرة منها على الخصوص الملتقيات الفكرية في الجزائر حيث قدم محاضرات مثبتة في مجلة الملتقيات. وشارك في جولات الحوار الإسلامي المسيحي في روما و مدريد عضوا في رابطة العالم الإسلامي.كما شارك فيما يسمى بالقمة الإسلامية المسيحية بعد 11سبتمبر 2001م بروما[6].

ينظر الكثير من المسلمين إلى الشيخ كأحد رموز الاعتدال والوسطية، كما أخذت فتاوى وآراء البرفسور عبد الله بن بيه مكانتها في الغرب بوصفها واحدة من أهم المصادر والمراجع المتعلقة بالأقليات الإسلامية التي تعيش في تلك الدول. حيث تتميز آراء عبد الله بن بيه بالاستيعاب العميق للأصول الشرعية والمعرفة الواعية بالواقع المعاصر مما يمكنه من إيجاد الكثير من الحلول لما يستجد من عقبات في طريق المسلم المعاصر.

مشروع عبد الله بن بيه في مقاصد الشريعة الإسلامية بأبعاد جديدة

استفاد عبد الله بن بيه كثيرا من مقاصد الشريعة لاستنباط الأحكام وتجديدها في عصرنا الراهن. وقد فهم عبد الله بن بيه مقاصد الشريعة الإسلامية بوصفها المعاني الجزئية أو الكلية المفهومة من خطاب الشارع ابتداء، أصلية أو تابعة، وكذلك المرامي والحكم والغايات المستنبطة من الخطاب، وما في معناه من سكوت بمختلف دلالته مدركة للعقول البشرية متضمنة لمصالح العباد وأفعالهم معلومة بالتفصيل أو في الجملة.[7]

فقد قدّم عبد الله بن بيه إجابة لثلاثة أسئلة أساسية من المنظور المقاصدي فيما يتعلق بأفعال العباد:

---

[6]. المصدر نفسه

[7]. عبد الله بن بيه، *مشاهد من المقاصد*، (الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع، 2012)، 32-33.

السؤال الأول: ما مدا استجابة التشريع الإسلامي للقضايا البشرية المتجددة وهو ما سماه بعض القدماء بالقضايا اللامتناهية كابن رشد في البداية.

السؤال الثاني: ما مدا ملاءمة هذا التشريع للمصالح الإنسانية وضرورات الحياة؟

السؤال الثالث: ما هي المكانة الممنوحة للاجتهاد البشري العقلي المؤطر بالوحي الالهي في التشريع الإسلامي؟[8]

وهذه الأسئلة الثلاثة المذكورة تتقاطع مع أسئلة النزعة الإنسانية باعتبار مقاصد الشريعة الإسلامية المعرفة المنوطة بجلب المصالح ودرء المفاسد سواء كانت من الجوانب الروحانية أو الجسمانية، الدنياوية أوالأخروية، الآجلية أو العاجلية. ولا شك في أن الحوادث لا تتناهي والنصوص الشرعية متناهية فتحتاج النصوص إلى تنزيل الأحكام لتحقيق مصالح الناس عامة في ضرورياتهم وحاجياتهم وتحسينياتهم. ولا يصح تنزيل الأحكام في أرض الواقع دون الاهتمام بتعليل الأحكام وارتباطها بالحوادث التي تتجدد بين الناس، حيث تطلب من المجتهد بذل جهده في التعامل مع النصوص الشرعية بفقه الواقع والتوقع. فالتجديد في الدين أمر معلوم بالضرورة عند علماء المسلمين كي يكون هذا الدين صالحا لكل زمان ومكان، ولا يمكن تحقيق معنى "الصلوحية" في الدين إلا بالأخذ بقيم الدين وأسراره في بُعدها المقاصدي.

وقد قرّر عبد الله بن بيه بأن المقاصد الكبرى في الإسلام هي تعليم العلم الحق والعمل الحق، والعلم الحق هو معرفة الله تبارك وتعالى وسائر الموجودات على ما هي عليه، وبخاصة الشريفة منها، ومعرفة السعادة الأخروية والشقاء الأخروي. أما المراد بالعمل الحق فهو امتثال الأفعال التي تفيد السعادة، وتجنب الأفعال التي تفيد الشقاء، والمعرفة بهذه الأفعال هي التي تسمى العلم العملي سواء كان هذا العمل ظاهرا بدنيا أو عملا نفسانيا. فالعلم بالعمل الظاهر يُعرف بالفقه كالفن من فنون العلم في الثقافة الإسلامية، والعلم بالعمل النفساني يدرك بالعلوم الآخرة مثل أحوال القلوب في الشكر إلى الله والصبر من الشيء على العمل المكروه.[9]

كما تحمل المقاصد الكبرى تدريجيا في بنيتها الداخلية، فهي ما بين العموم والخصوص وبين العام والأعم وبين الخاص والأخص.[10] وهذا التفاوت التدريجي لم يكن فكرة جديدة من عبد الله بن بيه بل سبقه إليها عز الدين بن عبد السلام في بيان تفاوت المصالح والمفاسد، حيث قال: تنقسم

[8]. عبد الله بن بيه، *مشاهد من المقاصد*، (الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع، 2012)، 9.

[9]. المصدر نفسه، 148.

[10]. المصدر نفسه، 153.

المصالح إلى الحسن والأحسن، والفاضل والأفضل، كما تنقسم المفاسد إلى القبيح والأقبح، والرذيل والأرذل؛ ولكل واحد منها رُتَب: عاليات، ودانيات، ومتوسطات؛ متساويات وغير متساوية.[11]

ولكن رغم الاتفاق الفكري بين عبد الله بن بيه وعز الدين بن عبد السلام، إلا أن ذلك لم يمنع من أن ينقض عبد الله بن بيه مفاهيم مقاصد الشريعة الإسلامية التي تندرج إلى ثلاثة أقسام لدى عز الدين بن عبد السلام وأبى إسحاق الشاطبي في الوقت نفسه، وتلك الثلاثة هي الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات؛[12] إذ يرى عبد الله بن بيه بأن عناصر المقاصد الكبرى اندماجية، فمثلا في قضية النكاح، قد يكون النكاح في مرتبة الضروري لمن يحتاجه احتياجا شديدا، وقد يكون في مرتبة الحاجي للمحتاج الذي لا يخاف العنت. ولأجل ذلك في أن أصل حصر مقاصد الشريعة لدى عز الدين عبد السلام وأبي إسحاق الشاطبي أمر اجتهادي، فمن أراد أن يتعرف إلى المقاصد في كل جزئية فما عليه إلا أن يرجع إلى ميزان النصوص وضرورات الناس وحاجاتهم ليثبت المرتبة،[13] وغيرها من الأمثلة الاجتماعية. ويعتمد هذا النظر الاندماجي المقاصدي عند عبد الله بن بيه على تحقيق الواقع المختلف في الظواهر الإنسانية من النظم الدولية، والاقتصادية والاجتماعية، والأسروية، والفردية.

اهتم عبد الله بن بيه بالواقع بما هو مناط تنزيل الحكم الشرعي بمقتضى علة الحكم التي تمثل لبنة الاستنباط بربط علاقة بين العالم التصوري وبين التطبيق العملي لأن الواقع هو الذي يحكم بسقوط الأحكام على الإنسان أو رفعها.

"*ولهذا فإن المناط لا يتحقق إلا بالإنسان ومن خلال الإنسان نفسه فهو المحقق الأول والأخير، لأنه الفاعل والمحل. وإذا كان المحل هو الإنسان، فعليه أن يكون قادرا على التعبير عن حاجاته، ليكون التنزيل ممكنا والتنزل واقعا.*"[14]

فالمراد من المناط في العبارة السابقة هو العلة من النوط أي التعليق، فالحكم معلق بها. فمعرفة تحقيق المناط في مجال التنزيل الحكمي على سبيلين: *الأول*، تطبيق القاعدة العامة في آحاد صورها. مثل تعيين ولي الأمر المنوط بالعدل كما ذكر الله عزوجل في كتابه الكريم: إن الله يأمر بالعدل

---

[11]. العز بن عبد السلام، *الفوائد في اختصار المقاصد*، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1996)، 39.

[12]. معنى الضروريات أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين، ومثل الشاطبي ب. أما الحاجيات أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحق بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة. أما التحسينيات فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق. أبي أسحاق الشاطبي، *الموافقات*، المجلد الثاني، (المملكة السعودية: دار ابن عفان للنشر والتوزيع، 1997)، 17-23. وأنظر أيضا إلى مألفة عز الدين بن عبد السلام، *الفوائدفي اختصار المقاصد*، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1996)، 38.

[13]. عبد الله بن بيه، *مشاهد من المقاصد*، (الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع، 2012)، 163.

[14]. عبد الله بن بيه، *تنبيه المراجع على تأصيل فقه الواقع*، (دبي:مسار للطباعة والنشر، 2018)، 47.

والإحسان وإيتآء ذي القربى.[15] *والثاني*، إثبات علة متفق عليها في الأصل في الفرع لإلحاق الفرع بها. مثل كون علة وجوب الزكاة في الذهب والفضة هي الثمنية، ومن أجلها أصبحت آلة الشراء للسلعة ثم وجدنا النقود الورقية قد عوضت العين في التعاملات التجارية، فحينئذ يقوم تحقيق المناط وتثبيت العلة الثابتة في الأصل في الفرع الذي تنطبق عليه عملة لتبادل السلعة.[16]

فالتعامل بتحقيق المناط يمثّل وسيلة بين المقاصد الشرعية والواقع فلا يمكن أن يقاس حكم الأصل بالفرع إلا مع وجود العلة في الحكم الذي يعرف بتحقيق المناط. ومن خلال تحقيق المناط، تحقق المصلحة الكبرى في الشرع من سماء النظريات إلى أرض العمليات. ولكن مع ذلك، يحتاج وصول المرء إلى معرفة مناط الحكم وتنزيله إلى آلية أصول الفقه في استدلال بالأحكام الشرعية، كالاستحسان، والاستصلاح، وسد الذرائع، والقياس، والاستصحاب، والسياسة.[17]فعلاقة المقاصد بأصول الفقه لا تنفصل بعضها بعضا، لأن سلامة التطبيق تتعلق بتوسيع النظر الأصولي في الحكم أسبابا وموانعا وشروطا له.

ولهذا، يرى عبد الله بن بيه أن تفعيل أصول الفقه على ضوء إعمال المقاصد في بنيتها؛ لتوسيع الدوائر الأربع: دائرة الاستحسان والاستصلاح واستنباط الأقيسة ومراعاة المآلات والذرائع، من فوائد هذه الدوائر الأربع كي لا تكون الأصول عقيمة والفروع يتيمة.[18] نظرا إلى كون منزلة أصول الفقه والمقاصد وسائل ومناهج تربط بين الشريعة الإسلامية والواقع الإنساني. فاستحضار الإنساني للكون هو التعاون بين البشرية وسعي إلى إصلاح الأرض واستدامة صلاحها حتى لا يكن الصراع الذي يؤدي إلى الفناء والتخريب.[19]

استنباط الأحكام على نهج المقاصد الشرعية في التكافل الإنساني

العلاقات الإنسانية التي يحكمها حسن التعامل بين الناس مستنبطة من نصوص القرآن والسنة، بل يمكن اختصارها في آية سورة الممتحنة التي يقول الله فيها (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين)[20]، وفسّر عبد الله بن بيه هذه الآية أن كلمة البر والقسط هما غاية حسن التعامل، تأكيدا على هذا المفهوم في مسند الطيالسى عن هشام بن عروة عن أبيه أن أسماء بنت أبي بكر قالت: يا رسول الله

---

[15]. سورة النحل: 90.

[16]. عبد الله بن بيه، *تنبيه المراجع على تأصيل فقه الواقع*، (دبي:مسار للطباعة والنشر، 2018)، 103.

[17]. عبد الله بن بيه، *تنبيه المراجع على تأصيل فقه الواقع*، (دبي:مسار للطباعة والنشر، 2018)، 137-139.

[18]. عبد الله بن بيه، *مشاهد من المقاصد*، (الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع، 2012)، 295.

[19]. عبد الله بن بيه، *تنبيه المراجع على تأصيل فقه الواقع*، (دبي:مسار للطباعة والنشر، 2018)، 37

[20]سورة الممتحنة: 8.

إنّ أمي أتتني في عهد قريش وهى راغبة مشركة أفأصلها؟ قال: نعم صلى أمك. وحديث الترمذي عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتق الله حيث ما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن.[21]

إذن، فحسن التعامل بين الناس يكون بناء على وحدة إنسانية الإنسان الذي تدعو إليه مقاصد الشريعة الإسلامية وفق عبد الله بن بيه، وهو ما يستقمره عند حديثه عن فقه الأقليات. أي الإنسان -سواء كان شرقيا أو غربيا- هو من أهل الأرض الذين يعيشون ضمن الحضارة الإنسانية.

يتمثل تعامل المرء مع غيره من بني جنسه بتشكل النظام الاجتماعي بدءا من الأفراد وصولا إلى الأمة الإنسانية على مر تاريخ الواقع الثقافي. ويأمر دين الإسلام أن يتعامل المرء بالخلق الحسن إلى غيره على اسم الأخوة الإنسانية دون تفريق بين الأفراد سواء كان الاختلاف في الدين، أو العرق، أو اللون. ذلك أن مصالح الأمة معلقة بمصالح أفرادها في تعاملاتهم بعضهم بعضا. واعتمد عبد بن بيه على الحديث فيما يتعلق بحسن التعامل بين الأفراد في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.[22] زيادة على القرار في حسن التعامل بين الإنسان في بذل المعروف، وإطعام الطعام، ودفع جزء من المال للفقراء، تكريسا للتكافل، والتضامن في المجتمع بقول الله عز وجل: إن الله يأمر بالعدل والإحسان.[23] تدل هذه الآية الشاملة على إحسان المرء لغيره عامة دون التخصيص بالمسلمين.[24]

وثقافة التسامح تلك مما سبق بيانه تؤدي إلى حفظ الأخوة الإنسانية بالتراحم، والغاية القصوى منها الابتعاد عن التطرف في الأفكار والأقوال التي تخالف منهج الوسطية في الإسلام، لا إفراط ولا تفريط. كما نظر عبد الله بن بيه إلى نهي الإسلام عن التشدد والغلو في الدين.[25] وقد صوّر هذا العالم المقاصدي الثقافة التسامحية بدقة في مظاهرها على ما يلي:

أولا: أن الإسلام يعترف للإنسان بحقه في الاختلاف، بقول الله عز وجل: ولا يزالون مختلفين.[26]

ثانيا: اعتراف الإسلام للآخرين بحقه في ممارسة دينه ومعلوم أن التاريخ البشري سجّل حروبا باسم الدين.

---

[21]. عبد الله بن بيه، *صناعة الفتوى وفقه الأقلية*، (دبي: مسار للطباعة والنشر، 2018)، 396.

[22]. هذا الحديث متفق عليه.

[23]. سورة النحل: 90.

[24]. عبد الله بن بيه، *الإرهاب: التشخيص والحلول*، (الرياض: شركة مكتبة، 2007)، 81-82.

[25]. المصدر نفسه، 86.

[26]. سورة هود: 118.

ثالثا: اعتبار الحوار والإقناع الوسيلة المثلى، ذكرت هذه النظرية في القرآن الكريم: وجادلهم بالتي هي أحسن.[27]

رابعا: اعتبار أصل العلاقة مع الآخرين هي المسالمة تقدم على بساط البر والقسط والإقساط.

خامسا: تحديد أسباب الحرب بأنها الاعتداء وليس الكفر كما يقول ابن تيمية قائلا إنه قول الجمهور الذي يدل عليه الكتاب والسنة والاعتبار: وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم.[28]

وهذه المظاهر الخمسة تستند إلى احترام الشريعة الإسلامية للإنسان الذي يذكر الله عز وجل في قوله العزيز. ولقد كرمنا بني آدم.[29] تتضمن هذه الآية القيم الداعية للكرامة الإنسانية والمساواة بين الإنسان. ولا شك في أن هذا التكريم الذي وهبه الله إلى مصالح خلقه التي أصّلها ونظّمها العلماء في علم المقاصد الشرعية. وأوضح عبد الله بن بيه في أن الضروريات تترجم بحق الحياة وحق التملك وحق تكوين الأسرة، مع حق زيادة حق العقل وحق التدين وحق النسل. أما الحاجي فمترجم بحق الإنسان في التعليم والمسكن وغيرهما من الحقوق التي ترفع مشقة الحياة وتؤمن الحياة الكريمة. أما التحسيني يقصد به منح الحياة الجمال والمتعة، والتمتع بالطيبات.[30]

يقارن عبد الله بن بيه انطلاقا من نظرية الحقوق في الإسلام، بين حقوق الإنسان في الإسلام وميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان. ليوجه نقدالبيان حقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة عام 1948. إذ يرى أن الغاية من هذه الحقوق تحقيق عالمية القيم في تطبيقها بحيث يقضى على التنوع الثقافي ضمن نظام الاجتماع الإنساني في أنحاء العالم. في حين يجب على الحقوق الإنسانية أن تكرس التعددية الحضارية.[31] ومن جانب عالمية التطبيق في الحقوق الإنسانية، أنشئت الفئة النسبية في الحقوق ويدعو إلى حرية الإنسان وحقه في الحياة، خذ على سبيل المثال قبول زواج المثليين مهما كانت اعتراضات المصادر الدينية.[32] وهذا عنده تطرّف بمعنى الكلمة لأن الحقوق الإنسانية لا تستطيع أن تتعارض مع حق الجماعي على حساب الحق الفردي بل تكون الحقوق متوازنة. ولذلك، تساوي الحرية بالمسؤولية، مسؤولية الفرد تتجه نفسه وغيره في الوقت نفسه. لابد من الاهتمام بمصالح الفرد ومفاسده من خلال جهة الفردية وعلاقته بغيره في المجتمع. طبعا، هذه المظاهر في الحقوق تتناقض مع المقاصد الشرعية الإسلامية التي جاءت لجلب المصالح ودفع المفاسد في دائرة القيم الإنسانية. لكن يعتقد عبد الله بن بيه بأن مقاصد الشريعة لا تتعارض مع القيم

---

[27]. سورة النحل: 125.

[28]. سورة البقرة: 190.

[29]. سورة الإسراء: 70.

[30]. عبد الله بن بيه، *حوار عن بعد حول حقوق الإنسان في الإسلام*، (الرياض: مكتبة العبيكان، 2006)، 59-40.

[31]. المصدر نفسه، 163.

[32]. المصدر نفسه، 149.

الإنسانية حيث لم تكن الشريعة إلا رحمة وعدولا كلها للإنسان. ولهذا، نشر عبد الله بن بيه ومازال رسالة الرحمة والسلم للحياة الإنسانية على سبيل مؤتمرات في العالم الإسلامي بمنظور مقاصد الشريعة الإسلامية. حتى عين عبد الله بن بيه في مناصب هامة في بلاد موريتانيا منها رئاسة مصلحة الشريعة في وزارة العدل ثم نيابة رئيس محكمة الاستئناف ثم عين نائبالرئيس المحكمة العليا ورئيسا لقسم الشريعة الإسلامية بهذه المحكمة ثم وزيراللتعليم الأساسي والشؤون الدينية، ثم وزيرا للعدل والتشريع وحافظاً للخواتم،ثم وزيرا للمصادر البشرية – برتبة نائب رئيس الوزراء -ثم وزيراللتوجيه الوطني والمنظمات الحزبية والتي كانت تضم وزارات الإعلام والثقافة والشباب والرياضة والبريد والبرق والشؤون الإسلامية. وأمينا دائما لحزب الشعب الموريتاني الحاكم الذي كان عضوا في مكتبه السياسي ولجنته الدائمة من سنة 1970- 1978 م . عني العلامة عبد الله بن بيه باستكمال تعريب الإدارة في مؤسسات الدولة الموريتانية كما اقترح مع آخرين تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في موريتانيا بدلاً من القانون الفرنسي وصودق على هذا الاقتراح في مؤتمرات الحزب وهيئاته.[33] وهذه المناصب تدل على أن عبد الله بن بيه ليس رجلا دينيا فحسب بل رجلا سياسيا أيضا. فلا يخفى في ما لهذه المناصب من دور هام في تغيير المجتمع الوطني ببلاد موريتانيا، حيث انضم عبد الله بن بيةلخدمة المجتمع الموريتاني على شعار تعزيز السلم وتجديد الفكر وفق منظور المقاصد الشرعية.[34] ولم تحد هذه الرسالة بحد الوطن الموريتاني بل سعى إلى تعميمها في العالم العربي المعاصر عامة، وتمثل هذه الظاهرة الدينية عند عبد الله بن بيه بوصفه أحد كبار العلماء المسلمين مساهمة منه في ترشيد الخطاب الديني ومواجهته في الخطاب الثقافي العالمي. لقد أخذ عبد الله بن بيه الفكرة الدينية المقاصدية نقطة انطلاق لتنزيل الأحكام الإسلامية على أرض الواقع مهما كان استنباطها من أدلة مرجوحة مثل تجويزه للمرأة المسلمة في بلاد الهجرة كشف غطاء الرأس، ويدعّي عبد الله بن بيه بأن هذين القضيتين دخلتا في حقوق الإنسان التي يبيحها الشرع.معتمدا في هذا النظر على منهج الفكر الديني المعتدل، حيث لا إفراط ولا تفريط في الدين.

يختار عبد الله بن بيه لنفسه موقفا أيديولوجيا معتدلا [35] وليس متطرفا، فمنهج الاعتدال الديني منتسب إلى أبي حسن الأشعري[36]،وكما هو معلوم، يمثل المسلمون الذين يتبعون المذهب

---

[33]. http://binbayyah.net/arabic/archives/1417

[34]. https://www.youtube.com/watch?v=uec7oTe5nIw

[35]. فإن مصطلحةالإعتدال والتطرف الديني في الحقيقة أن الفارق بين هذين النمطين من الخطاب فارق في الدرجة لا في النوع والدليل على ذلك أنهما لم يكونا تغايرا أو اختلافا من حيث المنطلقات الفكرية أو الآليات بينهما. ويتجلى التطابق في اعتماد نمطي الخطاب على عناصر أساسية ثابتة في بنية الخطاب الديني بشكل عام، عناصر أساسية غير قابلة للنقاش أو الحوار أو المساومة، في القلب من هذه العناصر عنصران جوهريان، هما "النص" و"الحاكمية"، وكلا من الإعتدال والتطرف يحملان إلى توحيد الفكر والدين، وإلغاء المسافة بين الذات والموضوع. نصر حامد أبو زيد، *نقد الخطاب الديني*، (القاهرة: سينا للنشر، 1994)، 67.

[36]. https://www.youtube.com/watch?v=gwsWiTV0kUM&feature=youtu.be

الأشعري منهجا في الاعتقاد عموم المسلمين في العالم، بمعنى أن عبد الله بن بيه لا يخرج عن فكر الأغلبية الدينية من علماء المسلمين وعوامهم ليبقى داخل الحيز العام (*public sphere*). طبعا، قد يوزن عبد الله بن بيه هذا المذهب في الخطاب الديني بأن له دورا ضخما وآثارا كبيرة في الثقافة الفكرية الدينية. فهذه السلطة المعرفية المأخوذة من المذهب الأشعري يصير آلية ومنطلقا لدى عبد الله بن بيه للرد على العالم الغربي في قضية حقوق الإنسان، مثل حدوث زواج اللوطيين. يرى عبد الله بن بيه بأن هذه الحدوث قد تخالف الفطرة الإنسانية والدينية معا.

من تشكل المفهوم المقاصدي إلى تشكل المشروع التناولي

بداية، قد ظهرت قضية الأمن في عصر الحداثة الغربية مبنية على مبدأ العقد الاجتماعي بين البشر. لقد رأى جان جاك روسو أن المجتمعات البشرية منفصلة لا تقوم بمفردها بل يحتاج إلى توحيد القوى الموجودة وتوجيهها بعضهم مع البعض للتعاون.[37] ولا نزاع في أن صلة التعاون بين الذاتية والغيرية في الحياة هي أمانة يضطلع بها كل أفراد المجتمع بمنطق تشاركي، وإن لم ينشأ التكافل من الحياة فإن ذلك يضفي إلى أزمات عدة: اقتصادية، وبيئية، وسياسية، وإعلامية، واتصالية وغيرها من أسباب انحطاط القيم الإنسانية بل يقوم بها موت الكرامة الإنسانية وحقوقها.

بناءا على ما تقدم، تأسست الأخلاق العالمية معتمدة على حقوق الإنسان كما أتى به إعلان الأمم المتحدة بوصفه سبيلا لحل المشكلات المعاصرة. وأرادت هذه الدعوة الأخلاقية قيام الكرامة الإنسانية لكل الأفراد، كما أن التكريم لا يقتصر على الذاتية فحسب ولكن يعم الجميع الذين يتحملون المسؤولية في بناء هذا النظام العالمي الجديد، وإذا كانت المسؤولية للجميع فإن ذلك يقتضي أداء الأمانة التي عرضها الخالق على كل المخلوقات دون تفريق أو على حد عبارة طه عبد الرحمن: "العلاقة بين الآدميين فيما بينهم". انطلاقا من هذا المنظور، فالمراد من "تكريم الذات إلى الغير" أو "صلة الأنا والآخر" اشتراكا في التعامل بينهم. لذا، صيغ أسلوب التعامل بين أفراد الجنس الإنساني بناء على قاعدة:"ينبغي أن يعامل كل إنسان معاملة إنسانية"، والمراد من هذه الصيغة حفظ كرامة الإنسان بلا تمييز سواء كان في العرق أو الجنس أو السن أو اللون أو اللغة أو الموطن أو المجتمع؛ يظل جميع هذه الأسس تحت رعاية حفظ الكرامة الإنسانية.[38]ولم يكن هناك تفريقا من أهل الأرض في تطبيق الكرامة الإنسانية، لأن هذه الأسس من طريقة الحياة السليمة لكي يعيش الناس بالتراحم في تعاملهم.

[37]. عبد الله بن بيه، *خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح*، (الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية:1999)، 25.

[38]. طه عبد الرحمن، *سؤال العمل: بحث عن الأصول العلمية في الفكر والعلم*، (المغرب: الدار البيضاء، 2012)، 117-119.

ولكن قد ظهرت في الواقع العياني حروب وصدامات بين البلدان، خذ على سبيل المثال في الشرق الأوسط الذي عرف حروبا أهلية في سوريا واليمن وليبيا ومصر والعراق، بينما يدعو أهل هذه البلاد ما اقترفوه باسم "الثورة" التي انطلقت في سنة ألفين وإحدى عشر أو ما يسمونه بـ" الربيع العربي".

إذن، فإن واقع النظام الاجتماعي اليوم يتناقض مع روح العقد الاجتماعي بين البشر الذي ينبني على التعاون والتكافل في الحياة كما صوره جان جاك روسو بوصفه أحد آباء خطاب بناء المجتمع الحداثي. ومن ثم يحتاج هذا الواقع إلى تقويم نظام المجتمع بمساهمة جديدة تبدأ من الأفراد وتمر إلى الأمة، لأن صلاح الأمة معلق بصلاح الأفراد.

1. إصلاح الأفراد

ولا نزاع في أن حضور الأزمات الإنسانية مقدّر بالحد الفاصل بين الذات والموضوع، بحيث تصير الذات بما هي السائد للموضوع كالعبد؛ فارتباط هذه الفردانية بالغيرية تعكس سلطة وهيمنة للآخر تؤدي إلى بروز حركات العنف والتطرف في المجتمع البشري. فلا شيء في هذه الظواهر إلا المجتمع المضيق والمقيد في التعايش والتعامل، في مقابل ذلك تبدو حقيقة الإنسان المدني بالطبع أي ذاك الذي يحتاج إلى الغير في التعاون قائمة.

ونظرا إلى بروز هذه الظواهر، يقوم الإنسان انطلاقا من مركزية الكينونة البشرية بحركة دائبة من أجل السيطرة على الموضوع الذي يتشكل في الخارج في صورة الموجود الإنساني أو الطبيعي، وسمي هذا النظر بالانتقال من مرحلة الاعتقاد إلى مرحلة الانتقاد، فلكل الأفراد الحرية في الحركة الفكرية، لذا انطلقت الحداثة الغربية من تراث العصور الوسطى باعتباره عصر الظلمات. بينما يعيش الإنسان حاليا في زمان الانقطاع بالوعي الإنساني في علاقة الذات بالموضوع، وهو ما أدى إلى بناء مجتمع قائم على أساس الفردانية والأنانية للذات على حساب الموضوع، حيث تهيمن الذات وتسيطر على الموضوع. وكما هو معروف، فإن المواطنة في الغرب تتجه إلى نزعة راديكالية في الفكر الليبرالي والجماعاني، فالأول يتسم بالفردانية للموضوع والثاني يتسم بالانغلاقية عن الموضوع، وإن كان لكل منهما نفس الغاية ألا وهي فصل الذات على الوضوع.

لذا، فإن الحداثة الغربية تبشر بالفردانية التي تؤدي إلى ثقافة العنف بين الذات والموضوع وبأعلى أشكالها، ألا وهو القتل والحرب بين الذات القوي ضد الموضوع الضعيف. كما يلتصق تاريخ الحداثة في الغرب بالحروب الدموية لأجل احتلال الشعوب والتي انتهت على صراع غربي غربي متمثل في الحربين العالميتين. ولم تقم مثل هذه الحروب والمآسي بين الدول التي أنجبت مفكري حقوق الإنسان والعقد الاجتماعي إلا لكونها كانت مبتعدة في وعيها عن الوعي الإنساني فصارت ثقافة الحداثة الغربية انغلاقية بين الأفراد.

وبذلك يرى عبد الله بن بيه أن بناء صلاح الأفراد في المجتمع يقوم على مبدأين في حقوق الإنسان: الأول، التكريم، وهو مبدأ ثابت لكل إنسان لمجرد كونه إنسانا، قال تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا".[39] الثاني، مبدأ المساواة، وهو ما أكد عليه الإسلام تأكيدا شديدا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس، إن ربكم واحد، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، كلكم لآدم وآدم من تراب".[40]

والغاية القصوى من وجود المبدأين السابقين هو إقامة الأمن لكل الأفراد في المجتمع كي يجري جلب المصالح ودفع المفاسد للبشر ويحققوا السعادة في معاشهم بالأمن. فتحقيق الأمن للمجتمع يعني وجود قيم وتصورات تفرز ضوابط سلوكية من شأنها أن تشبع الأمن في النفوس وتجافي الجنوح إلى العنف. والبحث عن الأمن الثقافي هو اتخاذ السبل والتدابير بكل الوسائل التثقيفية وفي مقدمتها التعليم والتربية والإعلام الجماهيري لإيجاد تلك القيم والتصورات لضبط وكبح جماح النفوس الميالة إلى العنف وترجيح كفة التسامح وحسن تقبل الغير وباختصار إيجاد الروح الاجتماعية والتعايش البناء بين أفراد المجتمع. كما يعني وجود ثقافة لدى أفراد مجتمع ما تساعد على الأمن والطمأنينة وهو بذلك يقابل ما يسمى بثقافة العنف.[41]

اعتمد عبد الله بن بيه في قضية أمن الإنسان على مقاصد الشريعة الإسلامية التي استنبطها الإمام الشاطبي في موافقاته ألا وهي الضروريات الخمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل. وهذه المقاصد هي الباب الواسع للولوج إلى حفظ الأمن. ولا شك في أن المراد من الحفاظ على الكليات الخمس تقتضي بالتلازم الأمن لكل الأفراد في أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم. وأن يحافظ كل فرد من الأفراد على الأمن.[42]

2. إصلاح المجتمع

لقد رأى عبد الله بن بيه أن عناية حق الفرد لا ينبغي أن يجاوز إلى حق الغير لأن الحقوق الفردية الاجتماعية تتصل بتوازن المسؤولية، لذلك تكون مسؤولية الفرد تجاه نفسه وتجاه غيره في الآن نفسه. واستنبط عبد الله بن بيه هذه النظرة من القرآن الكريم والسنة النبوية: حيث قال الله

---

[39]. سورة الإسراء: 70.

[40]. عبد الله بن بيه، *حوار عن بعد حول حقوق الإنسان في الإسلام*، (الرياض: العبيكان، 2006)، 35.

[41]. عبد الله بن بيه، *خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام*، (الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1999) 34.

[42]. عبد الله بن بيه، *خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام*، (الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1999)، 21-21.

عز وجل (ولهن مثل الذي عليهن) وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).[43]

فإن كان المسؤول هنا على رتبة واحدة تجاه نفسه وغيره فإن المسؤول يكون في رتب متعددة، فمن اللازم في الذهن، أن هذه الرتب المتعددة تتأثر وتؤثر على أساس الأخلاق المختلفة في كل الثقافات من إنتاج بني آدم. يبدو أن فلاسفة الغرب الحديث قد تناسوا حين التنظير في حقوق الإنسان أهمية الحق في التعددية الثقافية والحضارية حتى جعلوا الإتفاقات الجماعية الأوروبية عالمية. نظرا إلى ما تقدم ذكره حول مسألة حقوق الإنسان، يبدو تجديد بناء مجتمع حديث مرتبطا بالإحسان بين الأفراد سواء كان ذلك في المستوى الدولي أو العالمي مادام النظام العام الذي صدر من الأمم المتحدة بالإحسان بين الأفراد مقيما للأمن والصلاح فيها.

3. إصلاح الدولة

وقبل مناقشة مفهوم الدولة لدى عبد الله بن بيه، ينبغي علينا أن نكشف معنى الدولة في سياق اللسان العربي. إن الدولة في اللغة العربية تكمن في معنى التناوب والتداول الذي يشير إلى النصر والهزيمة. من ناحية أخرى، تنطق كلمة الدولة في اللسان العربي بضم الدال فتشير إلى المال وبالفتحة فتدل على الحرب. ولا يقتصر مفهوم الدولة على هذا المعنى فحسب بل يتغير مفهومها في العصر الحديث وهي: مجموعة بشرية تقيم على أرض محددة تخضع لسلطة واحدة، يمكن أن تعتبر شخصية معنوية، فقد تكون إمبراطورية، أمة، بلدا، قوة، جمهورية، أو مملكة.[44] انطلاقا من هذا المعنى فإن الدولة ترتبط بالسلطة السيادية والسياسية والمالية معا. لذا، فإن الأساس من الدولة هي بعدها السياسي والاقتصادي.

الأول، البعد السياسي: بداية، إن السياسة الدولية في عصر الحداثة قد تختلف عما كان دارجا في القرون القديمة التي تنتمي إلى المملكة الإمبراطورية، وكثير من الإمبراطوريات كانت تمارس نظام حكم ثيوقراطي ينتسب للأديان التي يعتقد بها سكان المملكة وحكامها. إلا أن الولاء في العصر الحديث يتغير من خلال مفهوم المواطنة في السياق السياسي؛ فالمواطنة هي عبارة عن علاقة متبادلة بين أفراد مجموعة بشرية تقيم على أرض واحدة، وليست انتماء إلى جد واحد بالضرورة، ولا إلى ذاكرة تاريخية موحدة، أو دين واحد، ذلك أنها تعتمد على الدستور إطارا وعلى القوانين نظاما، وهذه القوانين تحدد واجبات وحقوق أفرادها، إنها شبه جمعية تعاونية ينتمي لها الأفراد بصفة طوعية

43. عبد الله بن بيه، *حوار عن بعد حول حقوق الإنسان في الإسلام*،(الرياض: العبيكان، 2006) 166.

44. عبد الله بن بيه، *تنبيه المراجع على تأصيل فقه الواقع*، (دبي: مسار للطباعة والنشر، 2018)، 173-174.

وتقوم العلاقات فيها على التعاقد، فالذي ينضم اليوم إليها له نفس الحقوق التي كانت لأقدم عضو.[45] طبعا، لم ينضبط النظام السياسي في الإسلام على مر القرون ولأجل ذلك قد اجتهد فقهاء السياسة الشرعية في ضبط بنية الدولة بما يوافق المقاصد الشرعية على ميزان المصالح الإنسانية.

ولهذا، إن السياسة في الإسلام أمر ظني وليست قطعية، فإنها تتغير بتغير اجتهاد العلماء في زمانهم، بالرغم من أن الإسلام قد أعطى قيمة عليا للشؤون السياسية.[46] ومن تلك القيم الشورى والمساواة والعدل والحرية، وتتمثل هذه القيم عند جزء من الباحثين بوصفها جوهر النظام الديمقراطي في العصر الحديث. طبعا، الديمقراطية ليست نهاية التاريخ، فهي في النهاية اجتهاد بشري سياسي بل هي محطة من محطات الإنسان ولأجل ذلك يحتاج النظام الديمقراطي إلى إصلاح من الداخل أو الخارج، في السياقين السياسي والأيديولوجي معا. وقد ردّ عبد الله بن بيه على تطبيق النظام الديموقراطي في الواقع العياني إذ لم ينه هذا النظام العنف ولا الاستبداد، لأن الديموقراطية خاضعة للرأسمالية، وعليها أن تحقق مساحة رخاء نسبي. بحيث يؤكد عبد الله بن بيه كلمة الفيلسوف الألماني ليو ستراوس: "إن الديمقراطية هي استبداد العدد الأكبر". وعلّق عبد الله بن بيه عن هذه العبارة بأن الأكثرية ولو كانت تعبر عن نسبة قليلة من أصوات الناخبين فإنها تستأثر بالحكم والثروة بحكم المنطق الديمقراطي،في حين تكون الأقلية محرومة ومضطهدة وقد يدوم ذلك وقتا طويلا حيث يستعمل الحزب الحاكم كل الوسائل للبقاء في الحكم.[47] ولا شك في أن هذا النظام الديمقراطي المزيف يتمثل في بعض النظم العربية بلا نزاع. ولهذا، يحتاج النظام السياسي إلى إصلاحه نظريا وتطبيقيا.

بالنسبة إلى الأقلية والأكثرية في النظام السياسي، يدافع عبد الله بن بيه عن حقوق الأقلية على حساب الأكثرية. بالإضافة إلى الأقلية، فإنه في كثيرا من الأحيان ما تنحو الأكثرية إلى تجاهل حقوق هذه الأقلية، إن لم تضايقها في وجودها المادي أو المعنوي، لأنها تضيق ذرعا بالقيم والمثل المختلفة التي تمثلها تلك الأقلية، وهذه أهم مشكلة تواجهها الأقليات في المواءمة بين التمسك بقيمها والتكيف والانسجام مع محيطها. ولأجل ذلك، فإن النظام السياسي الديمقراطي الذي ينتسب إلى الأكثرية أن يراعي مصالح حقوق الأقلية بين ظهراني الأكثرية، وبخاصة ديار الغرب التي أبدعت فلسفة حقوق الإنسان؛ وكما هو معروف فإن حقوق الإنسان تعتبر همزة الوصل للتعايش بين أتباع الكنائس الأرثودوكسية والبروتستانتية والكاثولكية في الغرب، إلا أن أهل مصر مارسوا التعايش بين مختلف الأديان خلال 14 قرنا تحت حماية الإسلام، وكذلك حال الأقلية اليهودية في المغرب وهم يعيشون مع المسلمين في كنف الاحترام.[48]

---

[45]. عبد الله بن بيه، *صناعة الفتوى وفقه الأقلية*، (دبي:مسار للطباعة والنشر، 2018)،416-417.

[46]. أبو المعالي الجويني، *غياث الأمم في التياث الظلم*، (الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، دون السنة)،47-46.

[47]. عبد الله بن بيه، *مشاهد من المقاصد*، (دبي: مسار للطباعة والنشر، 2018)، 312.

[48]. عبد الله بن بيه، *صناعة الفتوى وفقه الأقلية*، (دبي: مسار للطباعة والنشر، 2018)، 252-253.

ومن ثم، يرى عبد الله بن بيه أن المطلوب من الشرع هو تطبيق حق الحياة والعدالة والمساواة والحريات وحماية الممتلكات، ومنع السجن التعسفي والتعذيب، وحق الضمان الاجتماعي للفقراء والمسنين والمرضى، والتعاون بين أفراد المجتمع للصالح العام وما يترتب عليه من واجبات؛ كدفع الضرائب والدفاع عن الوطن ضد العدوان، والامتثال للقوانين والوفاء بعقد المواطنة.[49] وقد اعتمد عبد الله بن بيه في هذا الاقتراح الفكري السياسي على قول الله عز وجل: (ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)[50]. وأيضا في قوله تعالى: (لا ينهاكم عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين)[51]. إن الآيتين تشيران إلى وجوب المعاملة الحسنة مع المختلف تحت اسم الإنسانية فلا يوجد حدود للتعامل الايجابي والتعايش بين البشر في ظل النظام السياسي الدولي مهما كان مختلفا في الأديان والعوائد والتقاليد. وذلك أنه إن أقام هذه القيم فقد أقام الدين وإن تجاهلها فقد هدم الدين.

4. إصلاح الأمة

يطرح علينا واقع الأمة عدة أزمات اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية[52]، أما عن أسبابها فإن الأسباب الأساسية لها هي تقديم الحقوق على الواجبات من أبناء الأمة. مع أن الواجبات لدى أبناء الأمة أولى من حقوقهم في مسيرة الحياة. والواجبات في هذا المجال هي اكتساب التخلق وليس الحقوق، والواحد من أبناء الأمة لا هم له إلا الأدب مع سواه، بل الأدب هو سر وجوده. ولهذا، الأساس الحقيقي لإصلاح الأمة حاليا يرتبط بجماعة أخلاقية بحق الذي يجب تحققه:

الأول، أن الأمة تمكن من التحقق بالماهية الأخلاقية، ولا يقتصر التحقق فيها بمجرد العناية بخير البشرية وبكرامة الكائن البشري بل تحقق الماهية الآدمية ذاتها، بل لابد من هذا التحقق الآدمي من تمايز، بحيث يكون من زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الآدمية.

الثاني، أن الأمة تزود بالقدرة على إبداع القيم، فمتى كان لأبناء الأمة مزيدا في الخلق زاد عندهم الوعي بالقدرة على إبداع القيم الأخلاقية إلى مرتبة عالية تملأ الوجدان بالرحمة والمؤاخاة اللتين تورثان الأمة على صفة الانفتاح وليست صفة الانغلاق على الغير.[53]

---

[49]. المصدر نفسه، 419.

[50]. سورة المائدة: 3.

[51]. سورة الممتحنة: 8.

[52]. طه عبد الرحمن، *سؤال العمل: بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم*، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2012)، 115-116.

[53]. طه عبد الرحمن، *روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية*، (الدار البيضاء: المركز الثقافي، 2006)،227-228.

انطلاقا من هذا الأساس، تنشأ المعاملة الإنسانية على أساس التراحم، حيث لا قيمة لفروق العرق أو الجنس أو السن أو اللون أو الدين أو اللغة أو الموطن أو المجتمع، بل يندرج جميع الأفراد ضمن مسمى "الإنسان". ما دام أبناء الأمة في هذا المجتمع الكوني يحفظون القيم ويتكافلون بمثابة الأسرة الواحدة، صار الجميع يتحمل مسؤولية ما في بناء هذا النظام العالمي الجديد. حيث أصبحت الصيغة في أذهان أبناء الأمة على قول طه عبد الرحمن: "ينبغي أن يعامل كل إنسان معاملة إنسانية"،[54] وفي قوله أيضا:" بل تبتغي صلاح جميع المخلوقات التي في عالم الإنسان؛ ذلك أنها ترفع همة الإنسان إلى أن يأتي أفعاله على الوجه الذي يجعل نفعها يتعدى نفسه وأسرته ووطنه إلى العالم بأسره، بحيث تكون كل بقعة من العالم وطنا له ويكون كل إنسان فيها أخا له ويكون كل كائن سوى الإنسان نظيرا له في الخلق."[55]

وأيضا، فإن حسن التعامل بين الإنسان في فكر عبد الله بن بيه وفق منظور مقاصد الشريعة الإسلامية. من هنا، استنبط عبد الله بن بيه في تحليل سياق العلاقات الإنسانية على نص القرآن الكريم من قول الله عزوجل: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم.[56] ليفسر غاية "البر" و"القسط" بحسن التعامل بين الناس مهما كانوا مختلفين في الأديان ماداموا لم يتحاربوا ولم يقاتل بعضهم بعضا.[57]

وأيضا، حاول عبد الله بن بيه عرض حقيقة الإسلام إلى العالم الغربي من خلال بيان رسالة السلام والتسامح في هذا الدين، فهو يصرح بالقول في مؤتمر السلام في الأديان بجامعة أكسفورد على أن سائر الأديان السماوية تدعو إلى المحافظة على الكليات الخمس: الدين والنفس والعقل والمال والعرض؛ ولكن كثير من الأحيان تظهر انحرافات في هذه الأديان من قبل المتلبسين بلبوس الدين من المجرمين.[58] ولهذا، يلقي عبد الله بن بيه كلمة في لقاء المؤتمر بأن العائلة الإبراهيمية أثبتت بقوة أن السلام والمحبة بين الناس هو جوهر الأديان بحيث تغلب هذه القوة على خطاب كراهية الإسلام تارة وكراهية المسيحية تارة أخرى وأحيانا باسم معاداة اليهود.

الخلاصة

[54]. طه عبد الرحمن، *سؤال العمل: بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم*، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2012)، 116.

[55]. طه عبد الرحمن، *سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية*، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000)، 158.

[56]. سورة الممتحنة: 8.

[57]. عبد الله بن بيه، *صناعة الفتوى وفقه الأقليات*: (دبي: مسار للطباعة والنشر، 2018)، 427.

[58]. http://binbayyah.net/arabic/archives/3993.

انطلاقا من هذا الأساس، تنشأ المعاملة الإنسانية على أساس التراحم من ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية أمر محتم، حيث لا قيمة لفروق العرق أو الجنس أو السن أو اللون أو الدين أو اللغة أو الموطن أو المجتمع، لأن إختلاف الألسنة والألوان شيء طبعي لا منازغة في حياة الإنسان، بل يندرج جميع الأفراد ضمن مسمى "الإنسان". ما دام أبناء الأمة في هذا المجتمع الكوني يحفظون القيم ويتكافلون بمثابة الأسرة الواحدة، صار الجميع يتحمل مسؤولية ما في بناء هذا النظام العالمي الجديد والإنسان الجديد. حيث أصبحت الصيغة في أذهان أبناء الأمة: "ينبغي أن يعامل كل إنسان معاملة إنسانية"،

قائمة المراجع

عبد الله بن بيه، *مشاهد من المقاصد*، (الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع، 2012)

جاسر عودة تحت العنوان: *مقاصد الشريعة دليل للمبتدئين*.

أبو إسحاق الشاطبي، *الموافقات*، المجلد الثاني، (المملكة العربية السعودية: دار إبن عفان، 1997)

عبد الله بن بيه، *مشاهد من المقاصد*، (الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع، 2012)

العز بن عبد السلام، *الفوائد في اختصار المقاصد*، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1996)

عبد الله بن بيه، *تنبيه المراجع على تأصيل فقه الواقع*، (دبي:مسار للطباعة والنشر، 2018)

عبد الله بن بيه، *صناعة الفتوى وفقه الأقلية*، (دبي: مسار للطباعة والنشر، 2018)

عبد الله بن بيه، *الإرهاب: التشخيص والحلول*، (الرياض: شركة مكتبة، 2007)

عبد الله بن بيه، *حوار عن بعد حول حقوق الإنسان في الإسلام*، (الرياض: مكتبة العبيكان، 2006)

http://binbayyah.net/arabic/archives/1417

https://www.youtube.com/watch?v=uec7oTe5nIw .

نصر حامد أبو زيد، *نقد الخطاب الديني*، (القاهرة: سينا للنشر، 1994)

https://www.youtube.com/watch?v=gwsWiTV0kUM&feature=youtu.be

عبد الله بن بيه، *حوار عن بعد حول حقوق الإنسان في الإسلام*، (الرياض: مكتبة العبيكان، 2006)

عبد الله بن بيه، *خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح*، (الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية:1999)

طه عبد الرحمن، *سؤال العمل: بحث عن الأصول العلمية في الفكر والعلم*، (المغرب: الدار البيضاء، 2012)

أبو المعالي الجويني، *غياث الأمم في التياث الظلم*، (الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، دون السنة)

طه عبد الرحمن، *روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية*، (الدار البيضاء: المركز الثقافي، 2006)